

□ **قَالَ الْمُصَنِّفُ :** (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ : إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ).

📖 أرسل الله - عزَّ وجلَّ - الرُّسُلَ كُلَّهَا من أجلِ التوحيد، وإِلَّا؛ فالبشرُ كُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ بالفطرة وجوده - تَعَالَى - ، وأنه هو الخَالِقُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ ، وَلَكِنَّ العِبَادَ أَشْرَكُوا في توحيد الألوهية، ولم يُوحِّدوه كَمَا يَنْبَغِي؛ رَعِمَ أَنَّ كثيرَ منهم حَقَّقُوا توحيدَ الرُّبُوبِيَّةِ؛ كمشركي العَرَبِ - كَمَا ذَكَرْنَا، لكن الذي يُنَجِّي العَبْدَ تمامَ النجاة هو إفراده - تَعَالَى - بجميع العِبَادَاتِ.

○ **العبادة لها معانٍ في اللغة والشَّرع :**

فالعبادة تكون بمعنى الدَّلِّ : عَبَدَ عَبْدٌ ؛ أي : ذَلَّلَ ، يُقَالُ : طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ ؛ أي : مَذَلَّلٌ (١) .
والعبادة تكون بمعنى : الطاعة :

قال - تَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠] ؛ أي : لا تطيعُوا الشَّيْطَانَ .

والعبادة نَوْعَانِ : كونيَّةٌ ، وشرعيةٌ .

العبادة الكونيَّةُ : هي الخضوعُ لله سبحانه وتعالى ولأمره .

وهي لا ينفكُ عنها أحدٌ، ولا يستطيعُ التَّنَصُّلُ منها؛ مهما أوتي من قُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] ؛ فكلُّ مَنْ فِي السموات والأرض عابِدٌ مُذَلَّلٌ .

فالموتُ والحياةُ والرِّزْقُ والابتلاءاتُ ؛ كُلُّ ذلك عبادةٌ كونيَّةٌ، وسميت (عِبَادَةٌ كونيَّةٌ) ؛ لأنها من أمرِ الله الكونيِّ؛ فَلَوْ جَاءَ أَجَلُ عَبْدٍ ، وَقَدْ أُوتِيَ كُلَّ قُوَى البَشَرِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُؤَخِّرَهُ عن نفسه أو يَدْفَعَهُ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩]؛ فلا ينفكُ أَحَدٌ عن هذا القَدْرِ الكونيِّ، ولا يَسْتَطِيعُ الخُرُوجَ عن مِظَلَّةِ العُبُودِيَّةِ الكونيَّةِ ؛ فهو مُجَبَّرٌ عَلَيْهَا ، وَهَذِهِ لِكُلِّ البَشَرِ؛ للكافرِ والمؤمنِ، والبرِّ والفاجرِ، والعاصي والطَّاعِ .

(١) (" لسان العرب " ٢٧٤/٣) ، و (" تاج العروس " ٣٤٠/٨) .



وهذا النوع من العبادة لا يُحمدُ العبدُ عليه ؛ إلا إذا كان عبداً مؤمناً ؛ فقام مقامَ الشُّكرِ والحمدِ والرِّضا على الابتلاءِ .

□ وتلقَى العبادِ للمصائبِ على وجوهٍ :

● **الوجه الأول :** يتلقاها بالسُّخْطِ ، ولا يرضى بقضائه عند نزول الابتلاء والمصائب ! وهذا ممقوتٌ مذمومٌ مُبعدٌ عن الله ، والقدرُ عليه نافذٌ لا محالة ؛ كعبدٍ أصابه مرضٌ خطيرٌ ، وقد أخبره الأطباءُ أن لا شفاءَ له ؛ فإذا كانَ من هذا الصِّنفِ فسيسخَطُ على أقداره - تعالى - .

● **الوجه الثاني :** يتلقاها بالصَّبْرِ على هذا القدرِ الكَوْنِيّ ؛ لعلمه أن الذي قدرَ عليه هذا هو الله، وأنَّ عدمَ الصبرِ لا يأتي بنتيجةٍ ؛ فإذا سخِطَ ؛ فلن يستطيعَ دَفْعَ المصائبِ ولا الابتلاءِ الذي نَزَلَ به ؛ فيصبر ، وعلامةُ الصبرِ ؛ ألاَّ يشكو ، ولا يتضرَّرَ من الابتلاءِ .

● **الوجه الثالث :** يتلقاها بالرِّضا ؛ أي : يرضى على قضائه وقدره ، وحتى يحقِّقَ (الرِّضا) ؛ لا بد أن يَعْلَمَ اسمَ الله (الحكيمِ) .

واعلم أن مدار العلمِ كُلِّهِ ، والفهمِ عن الله ؛ يَبْدَأُ من فَهْمِ الأسماءِ الحُسنى ؛ فلا يستطيعُ عبداً تحقيقَ (الرِّضا) عند نزول الابتلاء ، وخاصة في بدايته ؛ إلا إذا عَلِمَ اسمَ الله (الحكيمِ) ، وأنه ما ابتلاه ؛ إلاَّ لحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ ؛ فيصبر عند الابتلاء ؛ سواء كان الابتلاءُ مرضاً ، أو موتَ أحدٍ ، أو غيرَ ذلك .

● **الوجه الرابع :** يتلقاها بالشُّكرِ ، وهو نوعٌ أعلى من الرِّضا ، وهذا يمكنُ أن يُقالَ له : مرتبةُ (التفويض) ؛ وفي كتابِ الله ؛ قوله : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [غافر: ٤٤] .

كيف يشكر العبدُ عندَ الابتلاءِ ؟

والجوابُ : يحدث ذلك إذا حَقَّقَ اسمَ الله (الحميدِ) .

وما علاقة اسم (الحميد) بـ : (الشكر) ؟

إذا عَلِمْتَ أَنَّ (الحَمْدَ) هُوَ : وَصَفُ الْمُحْمَدِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ ، وَنُعُوتِ الْجَلالِ ، مع الْحُبِّ والتعظيم ؛ فعند المصيبة والابتلاء سَتَشْكُرُ ؛ لِعِلْمِكَ أَنَّهُ موصوفٌ بِالْكَمالِ في الأقوال والأفعال ؛ فأفعاله كلها خَيْرٌ ، وهذه أعلى الدَّرَجَاتِ ، ولا يَنالها إِلَّا الصِّدِّيقُونَ ، وهذا لا يُنافي الحُزْنَ والبُكاءَ عند نزول المصيبة .

وَمَنْ لَمْ يَبْكْ وَيَحْزَنْ عِنْدَ الْإِبْتِلاءِ ؛ خَرَجَ عَنِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ :

وليس الْمُفْضُودُ إِذَا نَزَلَ عَلَيْكَ الْإِبْتِلاءُ أَنْ تَتَبَلَّدَ وَتَضَحَكَ ، وَلَكِنْ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَبْكِي وَتَحْزَنْ ، وَإِلَّا خَرَجْتَ عَنِ الطَّبِيعَةِ ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ابْتُلِيَ يَحْزَنُ ، وَيَبْكِي ، وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ ، وَلَا يَضْحَكُ ؛ لِأَنَّ الرِّضَا وَالشُّكْرَ لَيْسَ لهُمَا عِلَاقَةٌ بِعَدَمِ الحُزْنِ أَوْ البُكاءِ .
إِنَّ (الْبَعْضَ !) يَحاولُ الظُّهُورَ بِأَنَّهُ صابِرٌ ؛ فَيُحَدِّثُ لَهُ تَبَلُّدٌ ؛ فَهُوَ بِذَلِكَ لَمْ يَحَقِّقْ تَمَامَ العِبَادَةِ ؛ فَلابُدَّ مِنْ تَوَازُنٍ وَإِعْطَاءٍ كُلِّ عِبَادَةٍ حَقَّهَا ؛ فَتُعْطَى الرَّحْمَةُ حَقَّهَا ؛ فَتَبْكِي وَتَحْزَنُ وَتَتَأَلَّمُ ، وَلَا تَمْنَعُ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا ، وَلَا تُحْمِلِهَا فَوْقَ طاقَتِهَا ؛ فَنَفْسُكَ لَهَا حَقٌّ ، وَحَقُّ نَفْسِكَ عِنْدَ الفَرَحِ ؛ أَنْ تُفَرِّحَهَا ، وَعِنْدَ الحُزْنِ أَنْ تَتَرَكَّهَا تَحْزَنُ ؛ فَلَا تَمْنَعُهَا مِنَ البُكاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ ، مَتَوْهَمًا أَنَّكَ لَوْ بَكَيْتَ كُنْتَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّكَ ، أَوْ غَيْرَ راضٍ عَنْهُ !!

بل لا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَذَا قِضَاءُ اللهِ وَقَدْرُهُ ؛ فَيُحَدِّثُ حِينَئِذٍ تَوَازُنًا .

لَيْسَ لِلذِّكْرِ التَّقِيِّ إِلَّا الرِّضَا بِالْقِضَاءِ الْكَوْنِيِّ ، وَأَدْنَى الدَّرَجَاتِ هِيَ " الصَّبْرُ " :

فَإِذَا كَانَ عِنْدَكَ ذِكَاؤٌ وَتَقْوَى ؛ فَلَا تَسْخَطُ ؛ لِأَنَّكَ إِذَا سَخِطْتَ عَلَى الْأَقْدَارِ لَنْ تُحَقِّقَ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ ، وَلَنْ تَسْتَشْعِرَ هَذِهِ الْمَعَانِي ؛ فَأَقْلُ دَرَجَةٍ أَنْ تَصْبِرَ ، ثُمَّ يُجَاهِدَ نَفْسَكَ عَلَى الرِّضَا ، ثُمَّ يُجَاهِدُهَا عَلَى الشُّكْرِ ، وَهَذَا أَعْلَى الْمَقَامَاتِ .

○ العِبَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ :

هي الخُضُوعُ لِأَمْرِ اللهِ الشَّرْعِيِّ ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .



وتحقيقُ العبادة ؛ يكونُ بالحبِّ والذلِّ ؛ أي : يأتي الأمرُ من الله ؛ فتفعلُهُ ، وأنتَ محبُّ ذليلٌ معظمٌ لله تعالى ؛ لأنك ضعيفٌ ؛ فلا تملكُ لنفسِكَ شيئاً ، ولا تتمُّ العبادةُ إلا بهما .

والعبادةُ : هي الغايةُ التي من أجلها خلقَ اللهُ الخلقَ ؛ قَالَ - تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وقال - أيضاً - : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ؛ أي : سدى لا

بعثَ !! ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] ؛ فتعالى اللهُ عمَّا يصفُهُ به

المبطلون الشَّاكُون في حكمته .

وأرسلَ - تعالى - الرُّسُلَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ هَذِهِ الْغَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقُوا ؛ قَالَ - تعالى - : ﴿

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] ، وقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا

شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل: ١٥] ، وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

مَعْنَى التَّوْحِيدِ - لُغَةً - :

(وَحَدَ) الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالذَّالُ : أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِرَادِ . مِنْ ذَلِكَ : الْوَحْدَةُ ^(١) .

وهو لا يتحقق إلا بنفي وإثبات :

قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

قال ابنُ القَيِّمِ - رحمه اللهُ تعالى - : " فَقَوْلُهُ : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ براءةٌ محضةٌ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ إثباتٌ أَنَّ لَهُ مَعْبُودًا يَعْبُدُهُ ، وَأَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ ؛ فَتَضَمَّنَتْ النَّفْيَ

وَالْإِثْبَاتَ ، وَطَابَقَتْ قَوْلَ إِمَامِ الْحَنْفَاءِ : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ " ^(٢) .

(١) " مقاييس اللغة " (٩٠/٦) - مادة (و ح د) - .

(٢) " بدائع الفوائد " (١٤٥/١) .



فالنفي وحده ليس كمالاً ، والإثبات وحده لا ينفي الشريك ، ولكنَّ النَّفْيَ مَعَ الْإِثْبَاتِ أَقْوَى وَأَوْكَدُ فِي الْمَعْنَى ؛ فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ؛ فهذا لا ينفي أن يكون معه إلهٌ آخَرُ ، وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ ؛ فهذا نفيٌ لجميعِ الآلهة ، ثُمَّ : (إِلَّا اللَّهُ) : إثباتُ الألوهيةِ لَهُ وحده .

و (لا إله إلا الله) لَيْسَتْ كَلِمَةً ، وَلَكِنهَا = مِنْهَجٌ كَامِلٌ :

فلا إله إلا الله ؛ معناها عظيمٌ ، وهي مِنْهَجٌ كَامِلٌ ، وَلَيْسَتْ كَلِمَةً فَقَطْ ، ولو كانت كلمةً لَنَجَا الشَّيْطَانُ ، وكثيرٌ من مشركي العرب الذين كانوا يعلمون أنَّ اللهَ واحدٌ وخالقٌ ورازقٌ ؛ فالكثيرُ عندهُ خللٌ في توحيدِ الإلهية ، ولذلك لا بُدَّ من معرفةِ أقسامِ التوحيدِ ؛ لكي نَحَقِّقَهُ على الوجهِ الذي يرضي الله .

فلا يصحُّ منك توحيدُ الربوبيةِ ، وعندك خللٌ في توحيدِ الألوهيةِ ؛ فستكونُ مثلَ مشركي العربِ ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] .

وقال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥] ، إلى غيرِ ذلك من الآيات التي تدلُّ على أنَّه كان عندهم توحيدُ الربوبيةِ ، ولكنهم عندهم خللٌ وضلالٌ وانحرافٌ في توحيدِ الألوهيةِ ؛ فلم ينفعهم توحيدُ الربوبيةِ .

○ أقسامُ التوحيدِ ثلاثةٌ :

١ - توحيدُ الرُّبُوبِيَّةِ :

● **معناه في اللغةِ :** كَمَا قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : " وَالْعِبَادُ مَرْبُوبُونَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ؛ أَي : مَمْلُوكُونَ . وَرَبَّبْتُ الْقَوْمَ : سُسْتُهُمْ ؛ أَي : كُنْتُ فَوْقَهُمْ . وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ : هُوَ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : لِأَنَّ يَرْبِّي فُلَانٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْبِّي فُلَانٌ ؛ يَعْنِي : أَنْ يَكُونَ رَبًّا فَوْقِي ، وَسَيِّدًا يَمْلِكُنِي .

قال ابنُ الأَنْبَارِيِّ : الرَّبُّ يَنْقَسِمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : يَكُونُ الرَّبُّ الْمَالِكُ ، وَيَكُونُ الرَّبُّ السَّيِّدُ



المطاع ؛ قال الله - تَعَالَى - : ﴿ فَيَسْتَفِي رَبَّهُ حَمْرًا ﴾ [يوسف : ٤١] ؛ أَي سَيِّدَهُ ، وَيَكُونُ الرَّبُّ الْمَصْلِحَ " (١) .

● **ومعناه في الشرع** : هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ - تَعَالَى - بِالْحَلْقِ وَالْمَلِكِ وَالتَّذْبِيرِ .

وهذا التَّوَعُّدُ مِنَ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ - كَمَا ذَكَرْنَا - ؛ بَلْ عِنْدَ الْغَالِبِيَّةِ الْعِظْمَى مِنَ النَّاسِ ؛ فَلَا أَحَدٌ يَقُولُ : أَنَا خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ! وَلَا أَحَدٌ ادَّعَى أَنَّهُ خَلَقَ بَنِي آدَمَ ، وَحَتَّى الْمُشْرِكِينَ أَنفُسَهُمْ لَمَّا وَضَعُوا أَصْنَامَ لِيَعْبُدُوهَا قَالُوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ؛ فَكَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ ؛ اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ ، وَلَكِنْ هُمْ مِنْ دَاخِلِهِمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَالْمَالِكُ وَالرَّازِقُ .

توحيد الربوبية وحده لا يُنجي العبد :

فَلَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ؛ فَلَوْ أَقْرَرْتَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُكَ وَرَازِقُكَ ، وَأَنَّه يُجِيبِي وَيُمِيتُ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْبَحَارَ وَالْجِبَالَ وَجَمِيعَ مَا فِي الْكَوْنِ ، ثُمَّ صَرَفْتَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِهِ تَكُونُ قَدْ تَسَاوَيْتَ مَعَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ؛ فَهَمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ تَقُولُهُ !!
فَمَا الْفَارِقُ - إِذَنْ - ؟!! الْفَارِقُ هُوَ تَحْقِيقُ (تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ) ، وَ (تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) .

○ **أدلة توحيد الربوبية كثيرة منها :**

قال - تَعَالَى - : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] ؛ فَهُوَ الْخَالِقُ - وَحْدَهُ - لِكُلِّ شَيْءٍ .
وقال - تَعَالَى - : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [فاطر : ٣] ، وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ أَنَّهُ خَالِقٌ ، وَأَنَّه هُوَ الرَّزَّاقُ .
وقوله - تَعَالَى - : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك : ١] ، فِيهِ إِثْبَاتُ الْمَلِكِ لِلَّهِ .

(١) " لسان العرب " (١/٤٠٠) - مادة (رب) - .



وقوله - تَعَالَى - : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].
وقوله - تَعَالَى - : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٩] ، فيه إثبات التَّدْبِيرِ .
والآياتُ كثيرةٌ (جَدًّا) في بيانِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالْمَلِكِ وَالتَّدْبِيرِ .

٢ - توحيد الأُلوهِيَّةِ :

● **وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ :** " أَلَهٌ إِلهَةٌ وَأُلُوهُةٌ وَأُلُوهُيَّةٌ : عِبَادَةٌ ، وَمِنْهُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ .. وَالتَّأَلُّهُ : التَّنَسُّكُ، وَالتَّعْبُدُ " (١) .

● **وفي الشَّرْعِ :** هو إفرادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ .

وهذا النوعُ مِنَ التَّوْحِيدِ هو الذي حَدَثَ فِيهِ الخَلَلُ والانْحِرَافُ عندَ كثيرين ؛ فَالكُفَّارُ كانوا يَعْبُدُونَ الأصنامَ ، وَيَتَصَوَّرُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَالْمُسْلِمُونَ (اليوم !!) يَتَمَسَّحُونَ بِالْقُبُورِ ، وَيَطُوفُونَ بِهَا ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ صَاحِبَ القَبْرِ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ ! فَيَتَخَذُونَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الكَاهِنَ وَالسَّاحِرَ يَأْتِي لَهُ بِالنَّفْعِ ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ الضَّرَّ !!
وهذا مُنْتَشِرٌ (جَدًّا) بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ ؛ فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الوَليَّ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ !! لِأَنَّ الوَليَّ (عندهم !) يَتَلَقَّى مِنَ اللَّهِ مَبَاشَرَةً !! وَأَمَّا النَّبِيُّ ؛ فَإِنَّهُ يَتَلَقَّى بِوِاسِطَةِ الوَحْيِ ، وَهَذَا ضَلَالٌ مَبِينٌ ، وَكُفْرٌ بَوَاحٍ ، أَنْ تَتَصَوَّرَ شَخْصًا صَالِحًا أَفْضَلَ مِنَ النَّبِيِّ ؛ فَلَا يَوجَدُ أَفْضَلَ مِنَ الأنْبِيَاءِ ، حَتَّى وَإِنْ وَصَلَ أَحَدٌ إِلَى دَرَجَةِ الوَلَايَةِ .

الوَلِيُّ هُوَ كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ ، وَلَيْسَ وَاحِدٌ بَعَيْنِهِ :

فَالعَبْدُ إِذَا آمَنَ بِرَبِّهِ وَاتَّقَاهُ يَكُونُ وَلِيًّا مِنَ الوَلِيَّاءِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ؛ فَأَيُّ أَحَدٍ يَحِقُّ هَذِينَ الشَّرْطَيْنِ (الإِيمَانُ وَالتَّقْوَى) يَكُونُ مِنَ الوَلِيَّاءِ اللَّهُ .
وَمِنَ الضَّلَالِ : جَعْلُ وَاحِدٍ بَعَيْنِهِ وَليًّا ، ثُمَّ يَتَمَسَّحُ بِقَبْرِهِ ، أَوْ يُعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ ؛ فَمَنْ اعْتَقَدَ

(١) " القاموس المحيط " للفيروز آبادي (ص : ١٢٤٢) - مادة (أله) - .

ذلك خَرَجَ من الملة .

وبكلِّ أسفٍ ؛ نرى هذا الأمرَ مُتَفَشِّيًا بين النساءِ لضعفِ العقيدةِ الإسلامية ، والوازعِ الدينيِّ لديهنَّ؛ بل وربما تَذَهَبُ المرأةُ إلى العَرَّافِ أو الكاهنِ ، وما أشبهَ ذلكَ ، وتَقُولُ : ابنتي كلَّما حُطِبَتْ يَفْشَلُ زواجُها ؛ فَتَهْرَعُ - مباشرةً - إلى الدَّجالينِ والكهنةِ وربما إلى القساوسة !!
فعلينا باللجوءِ إلى الله - تَعَالَى - ، والاعتصامِ به ؛ فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حَزَبَهُ أمرٌ قام للصلاة (١) .

فعليك بالصلاة ، ثم الأخذ بالأَسبابِ الشرعية ؛ فالتى لا تُنَجِبُ تَذَهَبُ للطبيب ، وتقوم بعملِ فحوصاتٍ طبيَّةٍ ، وتَنْظُرُ مَا هِيَ الأسبابُ ؟ ثُمَّ الرِّضَا بما قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى ؛ قال عَزَّ من قائلٍ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] .

وهذا الكاهنُ لا بُدَّ أن يَقَعَ في الكُفْرِ !!!

لقوله - تَعَالَى - : ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] ؛ فَاسْتَمْتَعَ الْإِنْسُ بِالْجِنِّ أَنْ يُلَبُّوا لَهُمْ أَمْرُهُمْ ، وَاسْتَمْتَعَ الْجِنُّ بِالْإِنْسِ أَنْ يَكْفُرُوا ؛ فَلَنْ يَرْضَوْا مِنَ الْإِنْسِ إِلَّا بِالْكَفْرِ .

فتذهب المرأةُ إلى ساحرٍ ؛ فيبدأُ يخبرها بالغيبات من وصفِ زوجِها ، ويدكُرُ لها مشكلتَها ، ويَصِفُ لها بَيْتَها ؛ دون أن يكون على معرفةٍ مسبقًا بكلِّ ذلك ! وهنا لا بُدَّ وأن تعلمَ المرأةُ أنَّ هذا الشخصَ متَّصِلٌ بالجنِّ ، وَيَفْعَلُ ما يأمرونه به من الكُفْرِ والشركِ ؛ حتَّى يساعِدُوهُ على ما يطلبه منهم . وَيَسْتَفِيدُ السَّاحِرُ من وراءِ : الشهرة ، والمجد ، وأخذَ المال ؛ فهذا هو استمتاعُ الجنِّ بالإنس ، والإنسِ بالجن .

(١) أخرجه أبو داود في " السنن " (برقم : ١٣١٩) ، وأحمد في " المسند " (٢٣٢٩٩) عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ، صَلَّى » . وحسنه الحافظ في " الفتح " (١٧٢ / ٣) . وهو في " صحيح الجامع " (٤٧٠٣) ، وله شاهدٌ بلفظ : " وَكَانُوا إِذَا فَرَعُوا ، فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ " ؛ أخرجه أحمد (٢٣٩٢٧) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٣٧٥) عَنْ صُهَيْبٍ . و انظر : " الصحيحة " (١٠٦١) ، و (٣٤٦٦) .



وهذا الضلال منتشر (الآن) على شبكات الانترنت ؛ أن تكُتِبَ اسمك ، ثمَّ يذُكَّرَ لك السَّاحِرُ أوصافَ شخصيتك ، وكل هذا كفرٌ بواخٍ مُخرِجٍ من الملة ، والذي أخبره بكل ذلك هو الجنُّ الذي معك ؛ فكلُّ إنسانٍ عنده جنٌّ مقيدٌ له ؛ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ » (١) .

وهذا القرين الذي يلازمك ؛ إمَّا أَنْ يَأْمُرَكَ بِشَرٍّ ، أو يَأْمُرَكَ بِخَيْرٍ ، وهذا غيرُ الشيطانِ الذي يُوسوسُ ؛ لأنَّ القرينَ لا يأمرُ بالشرِّ على الدوام ؛ بل كما قال - تَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] ، وأما الإنسان الذي طغى عليه الشرُّ ؛ فقرينه هذا لا يؤرُّه إلا على الشرِّ ، وهو يستجيبُ له .

وبتقوى الله والاستعاذة به من الشيطان الرجيم لا يستطيع أن يكون للشيطان سلطاناً عليك ، ولكنه يعلمُ حركاتك وتصرفاتك ؛ فيذهبُ إلى الكاهنِ ، أو العرَّافِ ، أو الدَّجَّالِ ، ويخبرُهُ بكلِّ شيءٍ ؛ فهو يُسَخِّرُهُ ؛ لِكَيْ يَأْتِيَ لَهُ بِالْأَخْبَارِ ، وَالشَّمْنُ أَنْ يَكْفُرَ !!

وقد حكم الشرع بالكفر على مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْعَرَّافِ أَوْ الْكَاهِنِ ؛ فَصَدَّقَهُ (٢) ، وَأَمَّا إِنْ سَأَلَهُ دُونَ أَنْ يَصَدَّقَهُ ؛ فَلَا تُقْبَلُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا (٣) .

حتى توحيد الربوبية ؛ أصبح عند المسلمين فيه خللٌ :

فلو حَقَّقَت توحيدَ الربوبية ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَجْلِبُ النَّفْعَ ، وَلَا يَصْرِفُ الضَّرَّ إِلَّا اللَّهُ ، مَا لَجَأْتَ إِلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤) .

(٢) كما عند ابن ماجه (٦٣٩) ، وأحمد (٩٢٩٠) ، و (١٠١٦٧) ، والدارمي (١١٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » . وهو في "المشكاة" (٥٥١) ، و"الصحيحه" (٣٣٨٧) .

(٣) كما في " صحيح " مسلم (برقم : ٢٢٣٠) عَنْ صَفِيَّةَ ، عَنْ بَعْضِ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » .



الكاهن ؛ فحتى توحيد الربوبية الذي كان عند مُشركي العرب ؛ أصبح عند المسلمين فيه خلل ؛ فلم يُحَقِّقْهُ على مراد الله ، ومراد نبيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فالذي يدبّر الأمر هو الله ، والذي ينفع ويضر هو وحده تبارك وتعالى ، ولا شريك معه في هذا ، وإذا اعتقدت غير هذا ؛ فهذا خلل في الربوبية ؛ فضلاً عن الخروج من الملة .

لو صرفت أي شيء من العبادة لغير الله تكون قد أشركت به :

فلو ذبحت أو نذرت لغيره ؛ فقد دخلت في الشرك ؛ فتوحيد الألوهية : أن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده ؛ فأنت إذا وحدت ربوبيته ، وأثبتت أنه الخالق الواحد الأحد والرازق والمدبر للأمر ، وهو الملك ؛ فلا بُدَّ معه من تحقيق توحيد الألوهية الذي هو تحقيق العبادة ؛ أي : لا أعبد إلا الله ، ومعنى ذلك : أن لا يأمرك أحد ، ولا ينهك ؛ إلا هو تبارك وتعالى .

ونحن إذا قلنا : يجب أن لا نعبد إلا الله ؛ فرما يأتي (السُّجُودُ) في أذهان بعض الناس ، ويقولون : نحن لا نعبد إلا الله ، ولا نصلي لغيره ؛ لكنهم يذهبون للعراف ، أو يتمسحون بقبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو يقولون : مدد يا نبي ، كما يفعل كثير من المتصوفة ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعطي المدد لأحد ؛ لأنه قد مات ، ولا يملك لنفسه أي شيء ؛ إلا أنه هو شفيع لنا ، ولكن ذلك يكون يوم القيامة .

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك جلب نفع ، أو دفع ضرر في حال حياته ؛ فكيف بعد

ماتِه !!؟

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه ، قال : « أصابت الناس سنة على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي ؛ فقال يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة ، فوالذي نفسي بيده ، ما وضعها حتى تار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر

يَتَحَادَرُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١) .

فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ أَنْ يُنْزَلَ الْغَيْثَ ، ولم يَقُلْ : أنا الذي سأُنزِلُهُ ، وحين ذهب الأعرابيُّ له كان يعلم أنَّه ليس في يديه أَنْ يُنْزَلَ الْغَيْثَ ، ولكنَّهُ قَالَ - له - : « فَاذْعُ اللَّهُ لَنَا » ؛ فلا يملك النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلْبَ نَفْعٍ ، أو دَفْعَ ضَرٍِّ في حَالِ حَيَاتِهِ ؛ فكيف بَعْدَ مماتِهِ؟!

فكلُّ هذه شركياتٌ وَقَعَتْ فيها الأُمَّةُ ؛ لذلك قَالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » (٢) ؛ فَمِنَ الْعُرْبَةِ أَنْ لَا يَعْلَمَ الْعَبْدُ دِينَهُ ، ولا يعلمُ مَا هو التوحيدُ ، وكثيرٌ من المسلمين كذلك - بكلِّ أَسْفٍ - ؛ فترى مِنْهُنَّ عند نزول الابتلاءِ ، أو المصائبِ من يذهبون إلى كاهنٍ ، أو عَرَّافٍ ، ويعتقدون رَفْعَ مَا نَزَلَ بِهِمْ عنده ، وترى الكاهن أو العَرَّافَ يَقُولُ لَهُ : اذْبَحْ خُرُوفًا ، أو دِيكًا ، واجعل دمه على المنزِلِ ، وغير ذلك من الخرافات التي نسمعها ، وما زالت موجودةً عندنا بكثرةٍ في الرِّيفِ المصريِّ ، وحتى في البلادِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ - الأخرى - ، وكلُّ هذا سببهُ : البُعْدُ عن عِلْمِ التوحيدِ والفهمِ عن اللهِ ورسوله .

٣ - توحيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ :

وهو إفرادُ اللهِ - تَعَالَى - بما سَمِيَ ووصفَ بِهِ نفسهُ في كتابِهِ ، أو على لسانِ رسوله ﷺ ؛ فلا يصحُّ إثباتُ ما لم يثبتهُ اللهُ لنفسِهِ ، أو لم يثبتهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يجوزُ أن نَنفِي شيئًا لم ينفِهِ اللهُ عن نفسه ، ولم ينفِهِ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أثبتَ اللهُ لنفسِهِ أَنَّهُ سَمِيعٌ ، عَلِيمٌ ، حَلِيمٌ ، حَكِيمٌ ، عَزِيزٌ ، رُؤُوفٌ ، إلى آخِرِهِ مِنَ الأَسْمَاءِ التي جاءت في كتابِهِ ، وكلُّ اسمٍ يدلُّ على صفةٍ ؛ فلا بُدَّ أن نُثَبِّتَهَا له - تَعَالَى - من غيرِ تحريفٍ ، ولا تعطيلٍ ، ولا تكليفٍ ، ولا تمثيلٍ ؛ فلا نُشَبِّهُهُ اللهُ سبحانه وتعالى بالمخلوقات ؛ فهو عَلِيمٌ ،

(١) أخرجه البخاريُّ (٩٣٣) ، ومسلمٌ (٨٩٧) .

(٢) أخرجه مسلمٌ (١٤٥) .



وحكيّم ، ولكن علمه غير علم المخلوق ، وهو - تعالى - حكيّم ، ولكن حكمته غير حكمه المخلوق .

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن كل اسم دال على صفة ولا بُدّ :

الحكيم دال على صفة الحكمة ، والعليم دال على صفة العلم ، والسميع دال على صفة السمع ، والكريم دال على صفة الكرم ، وهكذا في جميع أسماء الله .

وليس كل صفة تدل على اسم :

فالصفات ليست (كلها) تدل على أسماء ؛ فنحن نُثبت صفة المحيي ، والنزول ، والكلام ؛ لكن لا أقول : الله المتكلم ! أو النازل ، أو الجائي ؛ لذلك قال العلماء : باب الصفات أوسع من باب الأسماء .

من ينفي صفات الله ، أو بعضها لم يُوحده :

إن من ينفي صفات الله ، أو يقول : هي أسماء فقط ، وليس له صفات !! فهذا لم يُوحده ، وعنده خلل في توحيد الأسماء والصفات ؛ فيكون وحد الربوبية ، ووحد الألوهية ، ولكن لم يُوحده في باب (الأسماء والصفات) ؛ كالجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة - وغيرهم - : نفوا الصفات كلها ، أو بعضها ؛ فلما نفوها صار عندهم انحراف كبير في التوحيد .

إن الذي يُنجو يوم القيامة هو من أتى بالتوحيد على وجهه ، وليس من حرف النصوص ، وخالف الطريقة التي سار عليها السلف الصالح .

وهل هذا الكلام مطلوب من كل مسلم أن يعلمه تفصيلاً ؟

كلاً ؛ فليس هذا الكلام مطلوباً علمه على وجه التفصيل ، ولكن لا بُدّ أن يعلمه إجمالاً ؛ فيقرأ القرآن ، ويعلم ما فيه ، ويتدبره ، ويفهم آياته ؛ فلا يصح أن يعيش العبد ويموت ، وهو يجهل

معنى : (لا إله إلا الله) ، ولا يعلم مقتضاها ومستلزماتها !!

إنك لو تدبّرت كلام الله ، ستعلم أن هناك (توحيد ألوهية ، وربوبية ، وأسماء وصفات) ؛ فهذا كله موجودٌ ومقرَّرٌ ومسطورٌ ، وليس علمًا مخترعًا ؛ بل هو مُستَقَيٌّ من الكتابِ والسنةِ .

□ **قَالَ الْمُصَنِّفُ :** (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكَ ، وَهُوَ : دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ ، وَالدَّلِيلُ ؛ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء: ٣٥]) .

📖 فلا يجوزُ أن يُشْرِكَ أَحَدٌ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، والأدلةُ عَلَى ذلك كثيرةٌ ، مِنْهَا :

● قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

● وقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] .

● وقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] .

● وقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] .

والآيةُ الجامعةُ لِكُلِّ ذَلِكَ : قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ؛ فمن مات على الشرك لا يُغْفَرُ لَهُ ، ولكنَّهُ لو تابَ في الدنيا ؛ تابَ اللهُ عَلَيْهِ ؛ لقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] ، وهذا هو الجمعُ والتوفيقُ بَيْنَ الآيتينِ .

فالمُشْرِكُ بِاللَّهِ فِي عَذَابٍ وَشَقَاءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ :

فعداؤه في الدنيا هو : أَنَّهُ يَكُونُ مُشْتَبِّهًا ؛ تَأْمَلُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

فَهَلِ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ (وَحْدَهُ) يَسْتَوِي مَعَ رَجُلٍ عِنْدَهُ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ !!؟ فهذا يَتَعَارَكُ مَعَ هَذَا ! وهذا يَتَعَارَكُ مَعَ هَذَا ؛ فلا يَأْخُذُ أَوَامِرُهُ مِنْ وَاحِدٍ فَقَطْ !! هل يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا !!؟ .

كشخصٍ عِنْدَهُ شُرَكَاءُ ؛ هذا يَقُولُ لَهُ شَيْئًا ، وَالْآخِرُ يَقُولُ لَهُ شَيْئًا مُخَالَفًا لِلأَوَّلِ ؛ فكيف يكون

حالُهُ !؟

فالذي لم يحقق التوحيد يعيش في نكدٍ وتعبٍ ؛ لأنه يريد إرضاءَ هذا وهذا ، ويحاول إرضاء المجتمع والناس ؛ فيكون مُشْتَتًا مُتْعَبًا ، ولكنَّ العبدَ (الموحِّدَ) الذي لا همَّ له إلا رضى الله (وحده) ؛ فكلُّه سكينَةٌ ، وطمأنينةٌ ، وراحةٌ ؛ لأنَّه لا يأخذُ أوامره ؛ إلا من واحدٍ أحدٍ .
أما من يأخذ أوامره من عدَّة مصادِرَ ؛ فهو يُعاني من الشَّتاتِ ، والتَّمزُّقِ الفِكري ، ولا يدري من يرضيه ؟ وكيف يرضيه !!؟

○ أنواع الكُفْرِ :

فأنواع الكُفْرِ كثيرةٌ في القرآنِ ، منها :

١- **كُفْرُ الاستكبارِ والعنادِ :** كما فعلَ إبليسُ ؛ فَقَدْ قَالَ : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] ؛ فاعترض على أمرِ الله لما أمره بالسجود لآدم ، ولم يُجِبْهُ تَكْبُرًا !! لقد ﴿ أبى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

٢- **كُفْرُ الجُحودِ والإِعراضِ :** ككُفْرِ فِرْعَوْنَ ؛ كما قالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] ؛ فكان يعلم هو وقومه أنَّ الذي خلقهم هو الله (وحده) ؛ لأنَّ هذه فطرَةٌ ، وفرعون نفسه كان له إلهٌ ؛ كما قال - تَعَالَى - : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ وَآهَتِكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ؛ لأنَّ التَّأُلَّهُ فِطْرَةٌ .

وكلُّ ذريةِ آدمٍ شَهِدُوا أن لا إلهَ إلا الله وهم في أصلابِ آدمٍ عليه السَّلامُ ؛ قالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، ولكن قد يجحد العبد الشيءَ ، وهو مُسْتَيَقِنٌ بِهِ .



٣- كُفْرُ عِنَادٍ وَحَسَدٍ : كَكُفْرِ بَعْضِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، إِنْهُمْ أَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِي الدِّينِ ، وَمَعَ ذَلِكَ حَسَدُوا الْمُسْلِمِينَ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩] ؛ فَتَمَنَّوْا - حَسَدًا - أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاءً فِي نَفْسِ الْكُفْرِ ، وَقَالُوا : ﴿ أَهْؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] ؛ فَهَذَا حَسَدٌ ذَمِيمٌ ، وَحَقْدٌ دَفِينٌ ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] .

٤- كُفْرُ التَّكْذِيبِ : كَانَ عِنْدَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ - أَيْضًا - ؛ فَقَدَّ قَالُوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] ؛ فَهَمْ يَقُولُونَ : هَلْ يَعْقَلُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ الْآلِهَةِ ! - اللَّاتُ وَالْعِزَّى وَمَنَاةٌ - وَكُلُّ مَا يَعْبُدُونَهُ !! إلهًا وَاحِدًا - فَقَطُّ - يُعْبَدُ ؟ !! فَهَذَا كُفْرٌ تَكْذِيبٌ ؛ فَقَدْ كَذَّبُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ ، وَلَا وَلَدٌ ، وَلَا نِدٌّ ، وَلَا صَاحِبَةٌ ، وَلَا أَحَدٌ ، وَهَذَا (أَيْضًا) كُفْرٌ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ ، وَإِنْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ اللَّهُ .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَجْرَدَ قَوْلِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ ، أَوْ مَجْرَدَ قَوْلِهِمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ يَكْفِي لِلنَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ !!

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ اللَّهِ ، وَلَكِنْهُمْ عَبَدُوا مَعَهُ الْأَصْنَامَ ، وَالْأَنْدَادَ ؛ لِتَقَرِّبَهُمْ - بِزَعْمِهِمْ - مِنَ اللَّهِ ؛ فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ ، وَمَا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرِّسَالَةِ ، وَأَمْرَهُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَهَدَمَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَالْآلِهَةَ الْمَكْذُوبَةَ ، وَتَرَكَ هَذَا الْبَاطِلَ وَالْهَرَاءَ ؛ تَعَجَّبُوا ، وَقَالُوا قَوْلَتَهُمْ : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ .



٥- كُفْرُ الاستهزاء : كما فعل المنافقون ؛ فقد استهزءوا بالله ، وبرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابِ رسوله ؛ قال - تعالى - : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] ، وسبب ذلك ؛ أنهم قالوا (١) : ما رأينا مثل قرآنا ؛ أكذب السنة ، ولا أرغب بطوناً ، ولا أجن عند اللقاء ؛ فعلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلما علموا ذلك ذهبوا ليعتذروا ، وقالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ، وقد عفا عن طائفة منهم ممن زلت أقدامهم في ذلك ، ولكن الذين امتلأت قلوبهم بالنفاق لم يُقبل منهم عذر .

والآن نرى بعض الناس يجلسون ويستَهزئُونَ من الملتحين والمنتقبات وأهل الصلاح ، ويقولون : نحن لا نريد أن ندخل الجنة مع هؤلاء !! وهذا كله استهزاء وسُخريَّة مُردية ؛ فلقد قال - تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا ﴾ [البقرة: ٢٣١] ، وهذا الاستهزاء بآيات الله قد يُخرجهم من الملة وهم لا يشعرون ؛ فلا يجوز أن نستَهزئ بآيات الله ، ولا بما شرعه ؛ قال - تعالى - : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] ؛ فلا بُدَّ من تعظيم آيات الله وكلِّ ما جاء عنه ؛ فقد قال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٢] ؛ فتعظيم حرَماته

(١) كما روى الطبري في " التفسير " (٥٤٣) ، وابن أبي حاتم (١٠٠٤٧) بإسنادٍ صحيحٍ عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلسٍ : ما رأينا مثل قرآنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب السنة ، ولا أجن عند اللقاء ، فقال رجلٌ في المجلس : كذبت ، ولكنتك منافق ، لأخبرن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونزل القرآن ، قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيتُه متعلِّقاً بحقبِ ناقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تنكبُّه الحجاره ، وهو يقول : يا رسول الله إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ » .

وشعائره وكلامه خيرٌ للعبد ، وهو علامةٌ للتقوى ؛ فلا بُدَّ من الحذرِ من الوقوع في مثل هذه المحرمات .

❑ **قَالَ الْمُصَنِّفُ :** (فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ؟ فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، وَدِينَهُ ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

📖 **معنى الأصول (١) :** جَمْعُ أَصْلٍ ، وهو ما يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿ أَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] .
فهي شجرةٌ جذورها في الأرض ، وفروعها في السماء ، والكلمة الطيبة ، هي كلمة لا إله إلا الله ، وهي أصلُ التوحيد ، وفروعها أعمالُ القلوب ، وأعمالُ الجوارح ؛ فهذه الفروع تنفِرعُ منها ؛ فهي ليست كلمةً فقط ، ولكن لا بُدَّ لها من فروع .

وأولُ ما يجبُ على الإنسانِ شيءٌ عظيمٌ (جدًّا) ، ولا بُدَّ من إدراكِ هذه المسؤولية التي وُضعت على عاتقِهِ ، وهذه الأمانة التي كلفَهُ اللهُ بها ، وهو الذي طَلَبَهَا ؛ قال - تعالى - : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

والأمانة : هي الدينُ كُلُّهُ ، وسيُسألُ عنها يومَ القيامة ؛ ماذا فعل في هذه الأمانة ؟ وكيف يُنجي نفسه أمامَ اللهِ - تَعَالَى - ؟

سوف يُسألُ عن هذا الدينِ ؛ ماذا فعل فيه ؟ وماذا عَلِمَ مِنْهُ ؟ وَمَنْ رَبُّهُ ؟ وما دينُهُ ؟ ومن نبيُّهُ ؟ فهذه أولُ الأسئلةِ التي سيُسألُ عنها ، وهو في قبرِهِ قبلَ يومِ القيامة ، وقبلَ البعثِ والنُّشُورِ .

فأولُ ما يُوضعُ العبدُ في قبرِهِ سيأتيهِ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ ؛ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ .. الْحَدِيثُ " (٢) ؛ فَإِنْ أَجَابَ نَجًّا ، وَإِنْ لَمْ يَجِبْ يُعَذَّبْ ،

(١) ("التعريفات" للجرجاني ص : ٢٨) ، و ("تاج العروس" ٢٧ / ٤٤٧) .

(٢) أخرجه أبو داود في "السنن" (برقم : ٤٧٥٣) ، وأحمد في "مسنده" (١٨٥٣٤) ، وابن أبي شيبة في "مُصَنَّفِهِ

" (١٢٠٥٩) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِهِ . وهو في "صحيح الجامع" (١٦٧٥) ، و "أحكام الجنائز" (ص : ١٥٦) .

ويكون شقيًا في قبره ، ثم يوم القيامة يُبْعَثُ إلى الشقاء الأعظم ؛ شقاء البعث ، والوقوف في الحشر والنشور إلى غير ذلك ؛ فلا بُدَّ أن يعلم العبدُ مَنْ رَبُّهُ ، وما دينُهُ ؟

وكيف نعرف الله ؟

والجواب : نعرفه بتوحيد الربوبية ، والألوهية ، وبمعرفة أسمائه وصفاته .

● **فإذا سأل سائلٌ : وهل كان على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يُدْرَسُ توحيد الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات ؟**

●● **والجواب :** لقد كانوا في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَ بلاغةٍ ولغةٍ ؛ فإذا نزلت الآية فهموا معناها مباشرة ، وفهموا مَعْرَافَهَا ؛ فهم كانوا يَعْلَمُونَ معنى كلِّ كلمةٍ في الشرع ، وفي اللغة ؛ فكانوا لا يحتاجون إلى هذه الشُّروح ، ولكن نحنُ مع ضَعْفِ اللغةِ ، والبُعْدِ عن دين الله نحتاجُ إلى هذه التقسيماتِ (١) .

● **الأسباب التي تُؤدِّي إلى مَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :**

١ - **النَّظْرُ وَالتَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ :** وقد ندبَ إليه القرآنُ في عدَّةِ مواضع ، مِنْهَا :

● قوله - تعالى - : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] .

● وقوله : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢١] .

وفي الآياتِ العَشْرِ في أواخرِ سورةِ آلِ عِمْرَانَ ؛ كما جاء في حديث ابن عباسٍ (٢) لما قامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الليل ؛ فَمَسَحَ وَجْهَهُ ، وَقَرَأَ الآياتِ العَشَرَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرِ السُّورةِ .

(١) وهي ثابتةٌ في النصوصِ الشرعيةِ من الكتابِ والسنةِ .

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٨٣) ، و (٤٥٦٩) ، ومسلمٌ (٢٥٦) . ففي روايةِ البخاريِّ : عَنْ كُرَيْبٍ ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَحْبَبَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ خَالَتُهُ فَاضْطَجَعَتْ فِي عَرْضِ



فلا بُدَّ من التَّفكُّر والنَّظَر إلى السَّماء والأرض وما فيهما من آياتِ كونيَّةٍ ، وَكُلُّ ذلك سَبَبٌ في زيادةِ الإيمانِ ، وَعَدَمُ النَّظَر في ذلك مِنْ أَسبابِ ضَعْفِهِ .

٢- النَّظَرُ فِي الآياتِ الشَّرْعِيَّةِ : وهي الوحي - القرآن والسُّنَّة - ؛ فإذا أَرَدتَ معرفةَ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى ؛ فاقْرَأِ القرآنَ بتدبُّرٍ ، وتَفَهَّمْ للآياتِ ، وَقِفْ عند حُدُودِها ، وليس عند حُرُوفِها فقط ؛ فلا بُدَّ من إقامةِ الحُدُودِ مع إقامةِ الحُرُوفِ.

وتأمَّل في القَصصِ القرآنيِّ ؛ فكَمَا قال - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] ؛ ففيها عِبْرَةٌ ، وليست للتَّسْلِيَةِ ؛ فاقْرَأ - مثلاً - قصةَ موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع فرعون ؛ فَهِيَ مَلِيئَةٌ بِالْعِبَرِ وَالْمَواعِظِ ، وكذلك قصةَ يوسف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الذي استفدت منها ؟ وغيرهما من قَصصِ القرآن ؛ فَقِفْ ، وانظُر ماذا استفدت مِنْها ؟

وَقِفْ عِنْدَ المعاني ، وَعِنْدَ النَّداءِ إِذَا قالَ اللهُ - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؟ وانظُر هل حَقَّقْتَ هذا النَّداءَ ؟ فَإِذَا قرأتَ قولَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ؛ فهل حَقَّقْتَ التقوى ؟ وَإِذَا قرأتَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا بَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢] ؛ فَهَلْ (أَنْتَ) امتنعتَ عن الغيبةِ والنَّمِيمَةِ ، إلى آخِرِهِ من الآياتِ ؛ فَهَذِهِ النَّداءاتُ هي لك أنت ؛ فاسأَلْ نَفْسَكَ : إلى أيِّ شيءٍ وصلتَ تَجاهَ هذه النداءاتِ ؛ إذ كلُّ هذه الأمور تزيدُ الإيمانَ ، وتقرِّبُكَ من معرفتك بربك .

٣- مِراقِبَةُ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : فعليك بشدَّةِ المِراقِبَةِ في كلِّ أقوالِكَ وأفعالِكَ ؛ فإذا عملتَ أيَّ عملٍ فراقِبُهُ فيه ، واعمَلهُ بِإِتقانٍ ، وكذلك المِراقِبَةُ عَلَيْها أَنْ تُراقِبَ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى في تربيةِ

الوِسَادَةِ " واضطَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِها ، فَنامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ يَمْسُحُ التَّوَمَ عَن وَجْهِهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قرَأَ العَشْرَ الآياتِ الحَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرانَ ، ثُمَّ قامَ إِلَى شَيْءٍ مُّعَلَّقَةٍ ، فَتَوَضَّأَ مِنْها فَأَحْسَنَ وُضوءَهُ ، ثُمَّ قامَ يُصَلِّي .. الحديثُ .

أولادها ، وهكذا ؛ فالمراقبة في كل شيء في قولك الذي تقوله ؛ هل يُرضي الله أم لا ؟ وفي أحوالك ؛ هل هي مُستقيمة ؟ أم تحتاج إلى مزيد رعاية .

والمراقبة سبب في زيادة الإيمان ، واتصال العبد بربه ، وتصل به إلى مرحلة الإحسان ، وهي : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ؛ فإنه يراك " (١) ؛ فنحن لا نراه في الدنيا ، ولكننا سوف نراه في الآخرة - إن شاء الله - ؛ فاستشعرك أن الله يراك ؛ يجعلك تحسن المراقبة ، وهذه منزلة الإحسان ، وهي منزلة عالية .

□ قال المصنف : (ودينه ..) .

📖 فلا بُدَّ من معرفة دينك وتعلمه .

(والمعرفة) ؛ منها : فرض عين ، ومنها فرض كفاية .

هناك فروض لا يصح ترك تعلمها ، وهي فروض العين التي في دينك ، وأما فروض الكفايات ؛ فليست واجبة عليك تعلمها - إذا قام البعض بها - .

● **فمن فروض العين - مثلاً - : الصلاة** ؛ فقد أمرك الله - عز وجل - بها ؛ إذن يجب عليك دراسة فقهاها ، وتعلم ما تُقام به ، وما تبطل به ، وقبل الصلاة ؛ لا بُدَّ من تعلم كيفية الطهارة والوضوء الصحيح ؛ حتى تصح الصلاة ؛ فلا يصح أن تتوضأ أيّ وضوء ، أو تُصلي أيّ صلاة .

وعليه ؛ فكل عبادة أنت مسؤل عنها ، ولا يُؤدّيها عنك غيرك ؛ يجب عليك تعلم فقهاها ؛ كما بينا ؛ **لقد أمرك الله - عز وجل - بالصيام** ؛ فهل هناك أحد يصوم عنك ، أم أنت الذي تصوم ؟ فلا بُدَّ من تعلم فقه الصيام ، وكيفية الصححة ، ومبطلاته ، وإلا فسوف تُحاسب على تقصيرك ؛ لأنه ليس هناك مانع يمنعك من التعلم ؛ فشبكة التواصل مليئة بالعلم والفتوى - في كل مكان - .

وكذلك الحج لمن يذهب إلى البلد الحرام ؛ فلا بُدَّ من تعلم فقهه وأحكامه ؛ فكل عبادة أنت

(١) أخرجه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) عن أبي هريرة به . ومسلم (٨) عن عمر به .



مَسْئُولٌ عَنْهَا ، وَلَا يُؤَدِّيْهَا عَنْكَ غَيْرُكَ ؛ يَجِبُ عَلَيْكَ تَعَلُّمُ فَحْهٖهَا .

وكذلك الرجل الذي يُتاجرُ ، وَيَبِيعُ ؛ ففَرَضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِقْهَهُ وَأَحْكَامَ الْبُيُوعِ ، وَيَنْظُرَ ؛
هل مَكْسَبُهُ حَلَالٌ أم حَرَامٌ ، وهذا العملُ حَلَالٌ أم حَرَامٌ ؛ فإذا كان يبيعُ الملبسَ الضَّيِّقَةَ ،
وأدواتِ التَّجْمِيلِ ، والأشياءَ التي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ ؛ فلا يجوزُ له بَيْعُهَا ؛ قَالَ - تَعَالَى - :
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] ؛ فلا تُسَاعِدِ النِّسَاءَ
عَلَى لُبْسِ الضَّيِّقِ ، ولكن لو كانَ في بلدٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحِجَابُ ، واللباسُ الشرعيُّ ؛ فيجوزُ لَهُ بَيْعُ
مثلِ هذه الأشياءِ كمن يَسْكُنُ مَكَّةَ ؛ فيجوزُ لَهُ أَنْ يَبِيعَ ذَلِكَ ؛ لأنَّ مَكَّةَ يَغْلِبُ عَلَيْهَا النَّقَابُ
والحِجَابُ ، ولكن بلدٍ مثلِ بَلَدِنَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّبَرُّجُ ؛ فلا يجوزُ بَيْعُ الضَّيِّقِ والمُجَسِّمِ ، وَهَكَذَا ؛
فكلُّ شَخْصٍ يَعْمَلُ عَمَلًا سَيَسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَهَذَا دَيْنُكَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ تَعَلُّمُهُ .

□ **قال المصنّفُ : (وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .**

📖 **وكيف نعرفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟**

والجوابُ : بدراسةِ حَيَاتِهِ ، وسيرتِهِ ، وعبادتِهِ ، وأخلاقِهِ ، وشمائلِهِ ، ومعاملتِهِ ؛ حتَّى مع غيرِ
المسلمين ؛ فَمَثَلُ الَّذِي يُقْتَلُ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُدْبَحُ فِيهِمْ ، وَيَسْتَبِيحُ أَمْوَالَهُمْ وَدِمَائِهِمْ ؛ لم يَدْرُسْ
سيرتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دراسةً صحيحةً ولا عرف سنته ، ولو دَرَسَهَا مَا فَعَلَ ذَلِكَ ، ولكنه
فَعَلَ ذَلِكَ بِجَهْلِهِ ؛ فاعتقدَ أَنَّهُ يجوزُ قتلُ الكفارِ مُطْلَقًا !!

وكذلك ؛ الَّذِي يَكْذِبُ ، أو من يَسْتَحِلُّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ ، أو يَضْرِبُ زَوْجَتَهُ وَيَظْلِمُهَا ؛ فهؤلاءِ لم
يَعْلَمُوا شَيْئًا من سيرةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو دَرَسُوا أَخْلَاقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع
زوجاتِهِ ، وكيف كان يُعَامِلُهُنَّ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ .

إنك إذا دَخَلْتَ قَبْرَكَ ، وَسُئِلْتَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فكَيْفَ يَكُونُ جَوَابُكَ ؟ وَأنت لا تَعْلَمُ شَيْئًا عَنْهُ ،
وبعيدٌ كلُّ البُعْدِ عن سُنَّتِهِ ، وأوامرِهِ ، ونواهيهِ ، وبعيدٌ عن هديِهِ في معاملتِهِ مع المسلمين وغيرِ
المسلمين .

فلا بُدَّ من دراسة سيرته ، وقراءة الأحاديث التي صحَّت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فأفضلُ شيءٍ تأخُذُ مِنْهُ سيرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الأحاديثُ الصحيحةُ ؛ كأحاديثِ " صحيحِ " البخاريِّ ، و " صحيحِ " مسلمٍ ، وكذلك في الأحاديث التي في " السننِ " التي صحَّحها أهلُ العلمِ ؛ كالشيخ الألباني - رحمه اللهُ - وغيره .

فانظر في أخلاقه ومعاملته وشمائله ، وانظر في كتاب " الشمائل المحمدية " للترمذي ، بتحقيق الشيخ الألباني ، وهو كتابٌ جميلٌ جدًّا ؛ فقد ذكِرَ فيه بعضُ الأحاديث التي فيها شمائلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأيضًا ؛ كتاب " السيرة النبوية " لابن كثيرٍ ؛ فهذا كتابٌ جيدٌ جدًّا ، فتعلَّموا سيرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الكتبِ الطيبةِ .

ومن الأحاديث التي تحكي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثلاً - ؛ حديثٌ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ » ^(١) ؛ فهذا الحديثُ يُعَلِّمُكَ الرَّفْقَ ؛ فَلَمَّا رَدَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على اليهود لما قالوا : السَّامُ عليك يا مُحَمَّدُ ؛ فَرَدَّتْ عليهم ، وقالت : عليكم السَّامُ واللَّعْنَةُ والعَضْبُ ؛ أي : عليكم اللعنةُ ، والموتُ لَكُمْ ^(٢) ؛ فقال لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك . إلى غير ذلك من الأحاديثِ ، وكلِّما قرأتَ في سيرته ؛ ازدادتْ معرفتكُ به التي لا يعلمها كثيرٌ من المسلمين بكلِّ حسرةٍ ومرارةٍ !!

□ **قال المصنِّفُ :** (فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَقُلْ : رَبِّي اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ) .

📖 أي : إذا سألك أحدٌ مَنْ رَبُّكَ ؟ فليكن هذا جوابك : (رَبِّي اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ..) .

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٩٢٧) ، ومسلمٌ (٢٥٩٣) ، ولَفْظُهُ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ؛ فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » ، قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : " قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ " .

(٢) (" لسانُ العربِ " ٣٠٢/١٢) .

فَالرَّبُّ (١) : هو المَرِيّ ، أو القَيِّم .

وَمَاذَا رَبَّاكَ ؟

إِنَّهُ خَلَقَكَ - ابتداءً - على الإسلام ؛ فوَقَّقَكَ لهذا الدين ، ثم وَفَّقَكَ للعمل الصالح ؛ فكلُّ هذا بفضلِهِ سبحانه وتعالى لعبده .

ومن تربية الله لعباده :

أنه - تَعَالَى - يُعَرِّفُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الحَقَّ من الباطلِ، والحلالَ من الحرامِ ، ويعلِّمُهُمُ كيف يعبدونَهُ وَيَتَّبِعُونَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ إلى غير ذلك ، وهذا من إمدادهِ وتوفيقِهِ لعباده بأنَّ عَلمَهُم ما يَحِبُّ وَيَرْضَى .

□ **قال المصنّف :** (والدليلُ : قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] ، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ) .

📖 استدلَّ المؤلِّفُ - رحمه اللهُ - لِذَلِكَ ؛ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أَنَّهُ سبحانه وتعالى مُرَبِّ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ ، واستدلَّ - أَيضًا - من كونه (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أَنَّهُ لا معبودَ سِوَاهُ .

و (الْعَالَمِينَ) : جمعُ عَالِمٍ ، و (الْعَالَمُ) : كلُّ ما سِوَى اللهِ سبحانه وتعالى (٢) ؛ فَتَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ ؛ فَتَعْلَمُ أَنَّ لها خالقًا ، وَتَنْظُرُ إِلَى القَمَرِ ؛ فَتَعْلَمُ أَنَّ له خالقًا ، وكذلك إذا نَظَرْتَ لِنَفْسِكَ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] ؛ فكلُّ ما في الكونِ يدلُّ عَلَى الواحدِ الأَحَدِ .

□ **قال المصنّف :** (فَإِذَا قِيلَ لَكَ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ فُئِلَ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ : اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالقَمَرُ ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ،

(١) ففي (" اللسان " ٣٩٩/١) : " الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى المَالِكِ ، والسَّيِّدِ ، والمُدَبِّرِ ، والمَرِيّ ، والقَيِّمِ ، والمنعمِ ؛

قَالَ : وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أَضْيَفَ ؛ فْقِيلَ : رَبُّ كَذَا " .

(٢) (" التعريفات " ص : ١٤٥) ، وقال في " اللسان " (٤٢٠/١٢) : " والعالمُ : الخلقُ كُلُّهُ " .



وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَالذَّلِيلُ : قَوْلُهُ - تَعَالَى - : (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [فصلت: ٣٧] . وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٥٤] .

📖 نَحْنُ عَرَفْنَا اللَّهَ بَعْدَةَ طَرِيقٍ ، ب : (الْفِطْرَةَ ، وَالآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالآيَاتِ الْكُوْنِيَّةِ) .

ف : بِالْفِطْرَةِ عُرِفَ أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، وَعُلِمَ أَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ الْكُوْنِيَّةُ وَالشَّرْعِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ فَكُلُّ مَا فِي الْكُوْنِ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

فَنَحْنُ عَرَفْنَاهُ بِالْفِطْرَةِ ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

وَبِالآيَاتِ الْكُوْنِيَّةِ - كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - مِنْ ذَلِكَ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكُوْنِيَّةُ لَا تَكْفِي لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ ؛ إِذْ مَعْرِفَتُهُ - تَعَالَى - تَكُونُ بَعْدَةَ طَرِيقٍ أُخْرَى ؛ فَتَكُونُ بِالآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالْكُوْنِيَّةِ ، وَالْفِطْرَةِ ، وَالْعَقْلِ ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ .



□ قال المصنّف : (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ ، وَالذَّلِيلُ : قَوْلُهُ - تَعَالَى - :) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ([البقرة : ٢١ ، ٢٢] ؛ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : الْخَالِقُ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ) .

📖 إِنَّ الَّذِي خَلَقَنَا هُوَ اللَّهُ - تَعَالَى - ، وَهُوَ مَنْ أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ غَيْرُهُ .

(وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ) ؛ ف : (الرَّبُّ) هُوَ : الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ ، (وَالذَّلِيلُ : قَوْلُهُ - تَعَالَى - :)
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) .

والنداء مُوجَّهٌ - في قوله - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ إلى كلّ البشريّ ؛ فكلُّهم مأمُورون بعبادة الله الواحدِ الأحدِ ؛ فإلياء : حرف نداءٍ ، و (النَّاسُ) : كلّ البشرِ ؛ فأمر بعبادته والإذعان إليه ، وعبادة الواحدِ الأحدِ ليست قاصرةً على المسلمين ؛ فهي لكلِّ الناسِ ؛ ففريقٌ استجاب ، وهم المسلمون الموحّدون ، وفريقٌ لم يستجب ، ولكنَّ الأصلَ أنّ النداءَ جاءَ لجميعِ النَّاسِ ، وجميعِ الخلقِ . ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ ، وهذا تعليلٌ (لماذا تُعبُدُ الله ؟) ؛ لأنَّه أوجدك من عدم ، وخلقك ، ورزقك ؛ فكلُّ خيرٍ أنتَ فيه ؛ فهو من عنده .

إذن ؛ لماذا تُعبُدُ غيره؟! فإذا عبتَ دونَ الله ؛ فستعبُدُ مخلوقًا مثلك ؛ فهل هذا يُعقل؟! فهذه عقولٌ سَفِيهَةٌ ، وفطرٌ منتكسةٌ ، وفُهوُمٌ ضالَّةٌ ، وإلّا ؛ فالفطرةُ السليمةُ ، والعقلُ الصحيحُ يدلُّ على عبادته ؛ فإذا مالَ القلبُ والعقلُ إلى عبادةٍ غيرِ الله ؛ فهذا ضلالٌ مبينٌ ، وانتكاسٌ في الفطرة عظيمٌ !!



﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، و (التَّقْوَى) ، هِيَ (١) : وقايةٌ من عذابِ اللهِ؛ فالإنسانُ العاقلُ يجعلُ بينَهُ، وبين الحرامِ وقايةً وحجاباً من حلالٍ .

فأصلُ (التَّقْوَى) أن تجعل بينك وبين الحرامِ حجاباً من حلالٍ ؛ فتُعْطِي نَفْسَكَ مسافةً مُتَّقِي الشُّبُهَاتِ .

و (المسلمِ) - دائماً - لا يعبدُ اللهَ على حَرْفٍ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] ؛ لأنَّ الذي يعبدُهُ على حَرْفٍ ؛ فَإِنَّ أَيْ شَبَهَةً تُسْقِطُهُ ، وَتَنْزِلُ قَدَمُهُ - مُبَاشَرَةً - ؛ فَهَذِهِ لَيْسَتْ تَقْوَى ، وَلَكِنَّ (التَّقْوَى) أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ، وَتَأْتِيَ بِالْأوامرِ وَالنَّوَافِلِ ، وَتَبْتَعدَ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، وَلَا تَقْتَرِبَ مِنَ الْحَرَامِ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ » (٢) .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ ؛ أَي : مَهْدَهَا ، وَجَعَلَهَا سَبِيلاً ؛ لِنَتَنَعَمَ فِيهَا ، وَنَنَامَ ، وَنَحْيَا؛ فَهَذَا تَمْهِيدٌ ، وَتَذَلِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنْهُ عَلَيْنَا .

﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ؛ فَالسَّمَاءُ مَبْنِيَّةٌ ، وَفِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ ففِيهَا : النُّجُومُ الَّتِي نَهْتَدِي بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ ، وَفِيهَا : الْقَمَرُ ، وَالشَّمْسُ الَّتِي تَمُدُّنَا بِأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ ؛ فَكُلُّ هَذَا مِنْ نِعْمِهِ عَلَيْنَا؛ فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُذَكِّرُنَا بِنِعْمِهِ عَلَيْنَا بِأَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً .

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ ؛ فَالْمَاءُ سَبَبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ؛ فَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ ؛ لِكَيْ تَحْيَا الْأَرْضُ وَالْبِلَادُ وَالْعِبَادُ، وَإِلَّا كَيْفَ نَعِيشُ بَدُونَ الْمَاءِ ؟ سَمُّوْتُ مِنَ الْعَطَشِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْمَاءُ فِيهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ ؛ حَتَّى لِلْبَهَائِمِ ، وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَا تَحْيَا إِلَّا بِالْمَاءِ .

(١) ("التعريفات" ص : ٦٥) ، و ("جامع العلوم والحكم" ١/٣٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) عَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ بِهِ .



﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ ؛ فَتَخْرُجُ الثَّمَرَاتُ ؛ رِزْقًا لَنَا ؛ فَسُبْحَانَهُ أَمَدَّنَا بِالرِّزْقِ
والخَيْرَاتِ ، ثُمَّ يَعْبُدُ الْإِنْسَانُ (الْجَحُودُ الْكِنُودُ) غَيْرَهُ ، وَيَجْعَلُ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ ؛ فَعَذَابُهُ شَدِيدٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى ظَلَمِهِ وَكُفْرِهِ !! .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وَكَأَنَّ اللَّهَ يَعُدُّ عَلَيْكَ النِّعَمَ ؛ فَمَنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ يُعْطِيكَ
هَذَا؟ لَا يُوجَدُ ؛ فَهَلْ أَحَدٌ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ يَسْتَطِيعُ إِعْطَاءَ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ ، أَوْ يُنْزِلُ الْمَطَرَ ، أَوْ
يُنْبِتُ الزَّرْعَ ، أَوْ يَجْعَلُ الشَّمْسَ تُشْرِقُ ؛ فَمَعَ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَا ؛ لَا يَجُوزُ أَنْ
تَعْبُدَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ ، وَإِلَّا تَكُونُ مَنَّكَسَ الْفِطْرَةِ ، مَطْمُوسَ الْبَصِيرَةِ .

وَاللَّهُ يُذَكِّرُ عِبَادَهُ فِي خَتَامِ الْآيَاتِ ؛ فَيَقُولُ - جَلَّ مِنْ قَائِلٍ - : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ ؛ أَي :
لَا تَجْعَلْ لَهُ نَدًّا ، وَهُوَ خَلْقَكَ ، وَسَوَّاكَ ، وَرِزْقَكَ ؛ فَهَذَا يُنَافِي الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي دَاخِلِهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، وَأَنَّهُ لَا يُوْجَدُ
مَعَهُ إِلَهٌ آخَرَ ؛ فَلَا يَجُوزُ الْعِلْمُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ اللَّجْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ !!